

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

2676-1742:Eissn

الأمن الفكري ودور الأسرة في بنائه وحمايته

The intellectual security and the role of the family in its construction and protection

الإسم الكامل للباحث: بلخير سديد

جامعة مسيلة - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم العلوم الإسلامية (الجزائر)

مخبر الدراسات والبحوث الإسلامية والقانونية والاقتصاد الإسلامي

تاريخ النشر: 2021/12/01	تاريخ القبول: 2021/10/27	تاريخ ارسال المقال: 2021/09/05
----------------------------	-----------------------------	-----------------------------------

الملخص:

إنّ الأمن الفكري هو حماية للمنظومة الفكرية والثقافية المستخلصة من ديننا وتراثنا، من أي غزو فكري يهدّد بنيان المجتمع والدولة والأمة، ويزعزع أركانها ونظامها. ومن أجل بنائه وتعزيزه وحمايته لا بدّ من تظافر جهود عدّة مؤسسات رسمية وأهلية، وأهمّ هذه المؤسسات هي مؤسسة "الأسرة"، وذلك لمكانتها ومركزها المحوري في الدين الإسلامي والعرف الاجتماعي، باعتبارها أهمّ محضن تربوي، وأول مدرسة تعليمية للإنسان. ومسؤوليتها كبيرة جدا في هذا الصدد. ولن تصل الأسرة إلى هذا الهدف إلاّ بسلوك منهج التربية الإسلامية بأهدافه ومضمونه وأساليبه. ممّا يتطلّب إعدادا علميا وعمليا يؤهلها للقيام بهذه المهمة الخطيرة، وهذا التأهيل يقع على عاتق الوالدين بصفة أساسية، ثمّ على عاتق السلطات المختصة والمجتمع المدني بدرجة أقلّ.

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري، الغزو الثقافي، مسؤولية الأسرة، تربية الأبناء

Abstract :

The intellectual security is a protection of the Intellectual and cultural system which obtained through our faith and our legacy, against of any intellectual conquest which threatens the infrastructure state, and nation. and destabilizing its pillars and its 'of society .system

In order to constructing, strengthening and protecting it, there have to concerted efforts by several official institutions, and the most important of these is "the institution of the family" that is due to its status in Islamic religion and the social contract as the most important an educational incubator, also it have a high degree of responsibility in this regard. Then the family wouldn't get to this goal only by using Islamic education approach, which required scientifically and practically preparation positioned it to do such a dangerous task, and this rests with relevant authorities and civil society to a lesser extent

Keywords; intellectual security, intellectual conquest, family responsibility, parenting

مقدمة:

لا شك أنّ "الأمن" - بجميع جوانبه- يعدّ من أعزّ وأهمّ ما يرنو إليه الإنسان على وجه هاته البسيطة، حيث لا سعادة ولا طمأنينة ولا استقرار ولا ازدهار بفقدان نعمة الأمن أو اختلالها. لذلك امتنّ المولى عز وجل بهذه المنّة العظيمة على قريش حيث قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش 04]. كما توعدّ سبحانه وتعالى المجتمعات والأمم التي تتنكر لنعمة الأمن وتجحدّها بالشقاء والحرمان منها ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوْمًا كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل 112]. وفي السنّة النبوية نجد حديثاً عظيماً للنبي ﷺ يبيّن فيه قيمة هذه النعمة لدى الإنسان حيث يقول: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيرَتْ لَهُ الدُّنْيَا)¹

ولعلّ من أخطر مجالات الأمن وأهمّها ما كان متعلّقاً بعقل الإنسان وتفكيره، إذ باتت الحروب في العصر الحديث تعتمد بشكل أساسي على غزو العقول والقلوب قبل غزو الثروات والأوطان، وهذا ما يحتم على الأمة والدولة بناء فكر أفرادها وفق قيمها ومبادئها الأصيلة، وتحقيق الأمن الفكري داخل إقليمها، من خلال مختلف المؤسسات الحكومية والأهلية المتوقّرة لديها، ولا شك أنّ من أهمّ المؤسسات المؤهّلة لبناء هذا الأمن الفكري وترسيخه لدى النشء، هي مؤسسة " الأسرة". ومن هنا جاء موضوع هذا البحث الموسوم ب: " الأمن الفكري ودور الأسرة في بنائه وحمايته"

الإشكالية: بما أنّ قضية الأمن الفكري تعدّ مسألة جوهرية وخطيرة في حياة الأفراد والمجتمعات و الأمم، ولا يُبنى الفكر الآمن إلاّ بتظافر جهود عدّة مؤسسات رسمية ومجتمعية، وعلى رأس هذه المؤسسات نواة المجتمع " الأسرة". فما هو المقصود بالأمن الفكري؟ وما مدى أهميّة الدور الذي تلعبه الأسرة في بناء الأمن الفكري وتعزيزه وحمايته؟ وفيما تتمثّل الواجبات الملقاة على عاتق الوالدين لتحقيق هذا المقصد؟ وما هو السبيل لتأهيل الأسرة تأهيلاً يمكنها من بناء الأمن الفكري وتحقيقه لدى الأبناء؟

منهج البحث: لدراسة هذا الموضوع تمّ الاعتماد على كلّ من المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، حيث تمّ استخدام المنهج الوصفي في بيان طبيعة الأمن الفكري والحديث عن أهميته ومهدداته ودور الأسرة في بنائه، بينما تمّ استعمال المنهج التحليلي في تفسير النصوص الشرعية المتعلقة بالموضوع، وكذا في تحليل مخاطر الغزو الفكري على الفرد والمجتمع والدولة.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- 01- بيان طبيعة الأمن الفكري ومدى أهميته بالنسبة للأفراد والمجتمعات والدول.
- 02- التعرف على أخطار وأضرار انعدام الأمن الفكري أو ضعفه.
- 03- إبراز دور الأسرة في بناء الأمن الفكري وتعزيزه وحمايته.
- 04- الوقوف على واجبات الأسرة ومؤهلاتها لتحقيق الفكر الآمن لدى أبنائها.

خطة البحث:

المبحث الأول: الأمن الفكري

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري وأهميته

المطلب الثاني: مهددات الأمن الفكري وروافده

المبحث الثاني: دور الأسرة في بناء الأمن الفكري وتعزيزه

المطلب الأول: مفهوم الأسرة ومكانتها في تحقيق الأمن الفكري

المطلب الثاني: واجبات الأسرة ومؤهلاتها لبناء الأمن الفكري وتعزيزه:

المبحث الأول: الأمن الفكري

إنّ مصطلح "الأمن الفكري" من المصطلحات التي شاعت في العصر الحديث، وكثُر استخدامه في الشؤون السياسية والأمنية والقومية، ونُظمت فيه المؤتمرات والملتقيات والندوات، وأضحى مجالاً للدراسات الأكاديمية والإستراتيجية في معظم دول العالم. وفي هذا المبحث سيتمّ التركيز على تبيان مفهوم الأمن الفكري وأهميته في مطلب أول، ثم الحديث عن مهدداته وروافده في مطلب ثان.

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري وأهميته

سيتمّ التطرّق في هذا المطلب إلى بيان المقصود بالأمن الفكري في اللغة والاصطلاح في الفرع الأول، ثمّ الكشف عن مكانته وأهميته في الفرع الثاني.

الفرع الأول: مفهوم الأمن الفكري

حتىّ تتضح معالم هذا المصطلح المركّب، يجدر تعريف ألفاظه -أولاً- في اللغة والاصطلاح، ثمّ تبيان مفهومه كمركب لفظي.

أولاً: تعريف الأمن:

01- لغة: جاء في لسان العرب: أمن: الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا آمن، وآمنت غيري من الأمان والأمان. والأمن: ضدّ الخوف، والأمنة هي الأمان.²

وجاء في تاج العروس أنّ الأمن هو: "عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف."³

02- اصطلاحاً: يختلف مفهوم "الأمن" في الاصطلاح باختلاف التخصصات والمجالات، غير أن معناه العام لا يخرج عن المعنى اللغوي، وذلك مثل قول الجرجاني أن الأمن هو: "عدم توقع مكروه في الزمن الآتي."⁴ وجاء في قاموس "ويستر" أن الأمن هو: "حالة بالشعور بالأمن والتحرر من الخوف والقلق والخطر والشك وما إلى ذلك، أو هو حالة من الشعور بالسلامة أو اليقين."⁵

وعرّف الأمن في رسالة أكاديمية بأنه: "حالة من الشعور بالاطمئنان والسلام تسود المجتمع، فتجعل كل فرد فيه لا يخاف على شيء من ضرورات حياته."⁶

ثانيا: تعريف الفكر:

01- لغة: الفكر هو إعمال الخاطر في شيء. والتفكر: التأمل، ورجل فكّير أي كثير التفكر، وليس في هذا الأمر فكر: أي ليس فيه حاجة.⁷ قال الفيومي: " الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصّل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا"⁸ وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: الفكر هو نشاط ذهني أي إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول. ويطلق الفكر كذلك على النتاج الفكري لفترة أو مجموعة معينة. كما يطلق الفكر أيضا على الرأي والنظر.⁹

02- اصطلاحا: الفكر في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي، حيث جاء في المعجم الفلسفي أن الفكر هو أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق، ويطلق الفكر بوجه عام على جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة.¹⁰

وإلى هذا العمل الذهني أشار أبو حامد الغزالي بقوله: " اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"¹¹

ويجدر بالذكر أنّ الفكر في الوقت المعاصر يحمل معنى آخر غير الأداة والمحتوى، أي صار يشمل "جملة الآراء والأفكار التي يعبر بواسطتها هذا الشعب أو ذاك عن مشاكله واهتماماته، عن مثله الأخلاقية ومعتقداته المذهبية وطموحاته السياسية والاجتماعية، وأيضاً عن رؤيته للإنسان والعالم."¹²

ثالثا: تعريف "الأمن الفكري" كمركب لفظي:

من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكل من "الأمن" و "الفكر" يتبيّن أنّ المقصود بالأمن الفكري: هو صيانة عملية التفكر من الزيغ والضلال، وحفظ النتاج المعرفي من كلّ فكرة دخيلة أو مناقضة لهوية مجتمع ما وعقيدته وثقافته الأصيلة.

وقد عرّفه حيدر الحيدر في أطروحته العلمية بأنه " تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كلّ فكر شائب ومعتقد خاطئ يشكّل خطرا على نظام المجتمع وأمنه، ومما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية"¹³

وما دما جزءا لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي؛ فإنّ المقصود بالأمن الفكري: هو حماية منظومتنا الفكرية والثقافية المستخلصة من ديننا وتراثنا وكلّ عناصر هويتنا، من أي غزو أو اختراق فكري دخيل، يهدّد

بنيان المجتمع أو الدولة أو الأمة، ويزعزع أركانها ونظامها وأمنها واستقرارها، ويعطل من طاقاتها وقدراتها المعنوية والمادية.

الفرع الثاني: أهمية الأمن الفكري وأثر انعدامه:

أولاً: أهمية الأمن الفكري: إنّ المتمنّين لمجالات الأمن في هذه الحياة الدنيا، يجد أنّ ركنيها الأساسية وركنها الركين هو الأمن الفكري، فإذا اختلّ هذا الأخير في مجتمع أو دولة أو أمة ما؛ صارت فريسة سائغة أمام كلّ غزو فكري معاد، ومرتعا خصبا لكل معتقد ضال أو فكر ضارّ، وسرعان ما تحتل وتنهار كلّ مجالات الأمن الأخرى الحيوية، سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو غيرها. لذلك نستطيع القول أنّ الأمن الفكري يعدّ -بحقّ- خطّ الدفاع الأوّل في كلّ صراع فكري أو سياسي أو عسكري.

إنّ الأمن الفكري له علاقة مباشرة بعقل الإنسان وطريقة تفكيره ونظرة وقياسه لمختلف القضايا والمسائل، والعقل هو مناط التكليف الإلهي كما هو معلوم، وحفظه وجودا وعدما هو مقصد شرعي كلّّي وضروري، وما دامت القاعدة الأصولية تقول: ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب؛ فإن تحقيق الأمن الفكري وتعزيزه وحمايته يعدّ واجبا وفريضة شرعية.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره -مجملا- في أهميّة الأمن الفكري، يمكن إضافة بعض النقاط التي تبين ذلك

منها: 14

01-الأمن الفكري فيه صيانة للشريعة الإسلامية وذبت عن حياضها ونورها.

02-فيه حفاظ على الأمة الإسلامية من التبعية والدوبان والتقليد الأعمى.

03-بتحقيق الأمن الفكري يتولّد الإبداع والتطور والتفوق الحضاري.

04-الأمن الفكري يحقق الوحدة والتلاحم بين أبناء الأمة الواحدة.

05-بفضله يتحقق الانسجام الفكري ويتخلّص من الفوضى الفكرية.

06-يشكّل الأمن الفكري جدارا أمام تفشي كثير من الجرائم والآفات الاجتماعية.

ثانياً: أثر انعدام أو اختلال الأمن الفكري: لقد تبين في العنصر السابق مدى الأهمية البالغة لتحقيق الأمن الفكري على مستوى الفرد والمجتمع والدولة والأمة، ولاشكّ أنّه إذا اختلّ هذا الأخير أو تعرّض لغزو فكري دخيل فإنّه يلحق الناس ضرر وفساد كبير يطال كلّ مجالات الحياة، حيث تصاب العقائد والمبادئ في أسسها

وأركانها، و تبدأ القيم والأخلاق في الانهيار والاندثار، وتكثر الفتن والآفات والجرائم داخل المجتمعات والأمم. ممّا يؤدي إلى تخلفها وتقهقرها، بل ربما إلى دمارها وزوالها- لا قدر الله-

وفيما يلي تلخيص لآثار اختلال الأمن الفكري أو انعدامه في النقاط الآتية:

- 01- اهتزاز في العقائد والمقدسات ومساس بالقيم والمبادئ والأخلاق.
- 02- انقلاب وتمرد على عادات وأعراف وتقاليد المجتمع السائدة.
- 03- الغلو والتطرف الديني وصولاً إلى الأعمال الإجرامية والإرهابية
- 04- التسيّب والفسق والفجور وصولاً إلى الجرائم الأخلاقية وتفشي الخمور والمخدرات وغيرها.
- 05- تعطيل العقل أو إتلافه بسبب كثرة الريبة والشكوك والتناقضات.
- 06- انتشار الكسل والبطالة والسلبية والسقوط في شبك الترف الفكري والجدل العقيم.
- 07- الشعور بالغرابة الاجتماعية والتفكير في الهجرة إلى البلاد الأجنبية.
- 08- الردّة والخيانة للدين والوطن والعمالة للقوى الأجنبية المعادية.

المطلب الثاني: مهددات الأمن الفكري وروافده

بعدما اتضح المقصود بالأمن الفكري، وتبينت أهميته الكبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات والدول، سيتمّ التطرّق في هذا المطلب إلى القواصم التي من شأنها زعزعة الفكر الآمن، وفي المقابل بيان روافده التي تعمل على بنائه وتعزيزه وحمايته.

الفرع الأول: مهددات الأمن الفكري:

بما أنّ الحديث في هذا الموضوع يتعلّق بالفكر، فإنّ ما يُخشى على الأمن الفكري هو الحرب الفكرية وما تتخذه من أساليب ووسائل، وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: الأفكار الدخيلة: إنّ التدافع والصراع الحضاري في العصر الحديث صار يميل إلى الغزو الفكري أكثر منه إلى الغزو العسكري، حيث أنّ قوى التجبّر والإستعمار في هذا العالم، وجدت أنّ الحرب الفكرية أقلّ تكلفة وأيسر طريقاً في السيطرة على الدول والأمم، فراحت تبتّ سمومها وأفكارها الهدامة داخل هاته المجتمعات بشتى الطرق والوسائل.

وسأكتفي في هذا الصدد ببيان موجز -لما أراه- من أخطر المذاهب الفتاكة في دولنا العربية والإسلامية، وأقصد بذلك: التغريب والعلمانية والتطبيع والتطرف الديني. مكتفياً بتعريف كل مذهب منها وبيان أخطاره.

01-التغريب: المذهب التغريبي" هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية"¹⁵

ومذهب التغريب هذا يعدّ حركة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها، تخدمها مؤسسات مختلفة على رأسها مؤسسة التبشير والتنصير، ومؤسسة الاستشراق، ويرى أصحاب هذا المذهب أنّ المسلمين لهم ذاتية قوية خاصة تمنعهم من الاندماج في الأمم الأخرى، ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الذاتية إلا صهر هؤلاء في بوتقة الفكر الغربي وإخراجهم من قيمهم لينصهروا في قيم الغرب.¹⁶

وقد ركّزت حملة التغريب على القيم والمقومات والتاريخ واللغة، وأثارت حملة التشويه والتمويه، وانتزاع الطوابع المميزة للفكر الإسلامي والثقافة العربية، كالتضليل عن الفوارق بين المعرفة والثقافة، والخلط بين العلم والفلسفة، وتحريف التاريخ الإسلامي والإنقاص من دور الحضارة الإسلامية وفضلها على البشرية، والعمل على تقطيع الروابط الأخوية والروحية بين الدول العربية والإسلامية.¹⁷

02-العلمانية: وأصل كلمة العلمانية في الإنجليزية هي *secularism* وترجمتها الصحيحة في العربية هي: اللادينية أو الدنيوية. وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين، أي فصل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وتركه حبيساً بين العبد وربّه. وهو اصطلاح لا صلة له بالعلم *science*. وقد ظهرت في أوروبا منذ القرن (17م) ثم انتقلت إلى العالم العربي والإسلامي بداية من القرن (19 م)، وقد اختيرت لمدلها كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية.¹⁸

والمعروف أنّ أخطر المجالات التي اقتحمها الاتجاه العلماني في ظل النفوذ الاستعماري هي تغيير أنظمة القوانين في البلاد العربية والإسلامية من أحكام الشريعة إلى القوانين الوضعية، وكذا التوغّل في مجالات التربية والتعليم والثقافة والصحافة والمصارف وغيرها، وهدفه الأساسي هو تحطيم القيم الإسلامية، وخلق التبعية الفكرية والسياسية والتشريعية والإدارية والتعليمية للغرب.¹⁹

ومّا يؤسف له أن هذا الاتجاه العلماني، الذي يتركز على العقل والماديات ويعادي الألوهية والأديان السماوية -وخاصة الإسلام- قد حقّق توغلاً كبيراً داخل المجتمعات العربية والإسلامية، وأفلح في إقصاء أحكام الشريعة الإسلامية على مستوى التشريع والنظم القانونية لمعظم الدول العربية والإسلامية، بل قد تغلّغت فيها

سموم هذا الاتجاه في شتى المناهج التربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية، مما يعدّ اختراقاً فكرياً خطيراً سيؤثر سلباً على حاضر ومستقبل الأمة العربية والإسلامية. ما لم يتدارك ولاّة أمور المسلمين ذلك، بحماية أمنهم العقائدي والفكري والسياسي من هذا التيار العاشم.

03-التطبيع: والمقصود به تطبيع العرب والمسلمين علاقاتهم مع الكيان الصهيوني المحتلّ لأرض فلسطين، أي جعل التواصل بينهم طبيعي وعادي. وبعبارة أخرى "التطبيع هو المشاركة في أي مشروع أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصاً للجمع سواء بشكل مباشر أو غير مباشر بين الفلسطينيين أو العرب وإسرائيليين أفراداً كانوا أم مؤسسات ولا يهدف إلى مقاومة أو فضح الاحتلال وكل أشكال التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني".²⁰

"تمثل حركة التطبيع بالنسبة للكيان الدعامية الرئيسية للتغلغل الصهيوني في المنطقة العربية، لأنه أعمق وأكثر استقراراً من أي ترتيبات أمنية كالمناطق المنزوعة السلاح، ووضع قوات دولية وغيرها من الترتيبات الأمنية. فالتطبيع يبقى العامل الحاسم على المدى البعيد، لأن الصراع يترسخ في وعي الشعوب وثقافتها وذاكرتها الجمعية ووجدانها القومي، فتصعب هز القناعات وتدمير مقومات الذاكرة الوطنية واختراق الثوابت التاريخية والدينية والحضارية دون إقامة جسور للتواصل والتطبيع. وبالتالي فإن الإصرار الإسرائيلي على التطبيع، ينبع من إدراكه أن هذا الميدان هو المؤهل والقادر على تلويث الفكر العربي والثقافة الشعبية الوطنية، وضخ المفاهيم والتصورات المشوهة لقيمه ومبادئه والشخصية القومية".²¹

التطبيع بالنسبة لإسرائيل لا يعني مجرد إقامة علاقات تجارية أو مفاوضات أو سفارات.. وإنما يشمل مراجعة لمفاهيم الصراع ولفهم التاريخ والأسس الدينية، أي يجب أن يكون عملية قلب جذرية للنظرة العربية والإسلامية تجاه إسرائيل واليهود بحيث ينشأ عربي مسلم جديد بمفاهيم جديدة تنسف كل ما سبق بخلفياته وحيثياته. وعليه فإن التطبيع يجب ان يكون منهاجاً حياتياً جديداً ومبرمجاً بطريقة مؤثرة تخلق قيماً تربوية وأخلاقية جديدة متناسبة مع المرحلة وتشكل أساس المستقبل.²²

ومّا يؤسف له أنّ كثيراً من الدول العربية والإسلامية قد خضعت لحركة التطبيع هذه، وراحت تقيم علاقات سياسية وتجارية وثقافية مع الكيان الصهيوني رغبة ورهبة، وفتحت أبوابها وحصونها لأخطر كيان بشري على هذه المعمورة، هذا الكيان العاشم الذي هو مصدر كلّ شرور وفساد في الماضي والحاضر والمستقبل. وذلك بشهادة القرآن الكريم الذي كشف خبثهم ومكرهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين في مواضع عدّة. كقتل الأنبياء

عليهم السلام، وتحريف كلام المولى عز وجل، وسفك دماء الأبرياء، ونقض العهود والمواثيق، والكذب والزور والإفساد في الأرض وغيرها مما فصل فيه الوحي تفصيلا دقيقا من لدن الخالق الخبير بسرائر عباده وخباياهم.

04-التطرّف الديني: إذا كانت المهددات السابقة (التغريب، العلمانية، التطبيع) مصدرها خارجي، فإنّ التطرّف الديني هو مهدد داخلي للأمن الفكري، فما المقصود بالتطرف الديني وما هي مخاطره على الأمن الفكري؟

المقصود بالتطرف في هذا المقام هو: "التنطع في أداء العبادات الشرعية، أو مصادرة اجتهادات الآخرين في المسائل الاجتهادية، أو تجاوز الحدود الشرعية في التعامل مع المخالف".²³

والتطرف بهذا المفهوم هو ما عبّرت عنه الشريعة الإسلامية بألفاظ أخرى ورد معظمها في السنّة النبوية، مثل: التنطع والتشدد والغلو. حيث ورد في الحديث قوله عليه السلام: "هلك المتنطعون، قالها ثلاثا"²⁴ قال النووي: "أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"²⁵ وفي حديث آخر قال ﷺ "إن الدين يُسر، ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا.."²⁶ "والمشادة بالتشديد المغالبة، يقال شاده يشاده مشادة إذا قواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب."²⁷ وعن النهي عن الغلو وبيان عاقبته، قال ﷺ: ".. وإياكم والغلوّ في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين."²⁸

والتطرف الديني ظاهرة قديمة متجددة، عانت منها الأمة الإسلامية ولا تزال كذلك في كل عصر ومصر. وقد اتّسم بهذه الصفة أفراد كما اتصفت بها جماعات، وأحدثت شروخا في نسيج الأمة الإسلامية، وتشكّلت فيها فرق مغالية في الاعتقاد والعبادات والسلوك، مثل الخوارج والشيعة في بدايات التاريخ الإسلامي، ووصل الاختلاف والتعصب بين هذه الفرق والجماعات إلى التنافر والقتال والعمالة للعدو، مما أدّى إلى أضرار جسيمة وخطيرة بالدين وبالأمة الإسلامية، وعلى رأسها سقوط خلافة المسلمين على أيديهم وأيدي أعداء الإسلام مرات عديدة.

ومّا يؤسف له أن ظاهرة التطرّف الديني لا تزال تشكّل خطرا على الأمن الفكري إلى يومنا هذا، بل أضحت خطرا محققا على الأمن بكلّ مجالاته المعنوية والمادية، وفيما يلي نشير - بإيجاز - إلى هاته المخاطر والأضرار التي يحدثها هذا الفكر المتطرّف:

01-تشويه صورة الإسلام الحنيف المبني على الوسطية والاعتدال والاستقامة. ممّا يشكّل عائقا أمام الدعوة إليه في أوساط غير المسلمين.

02- يؤدي التطرف الديني إلى التعصب المقيت والجنوح إلى التفسيق والتكفير ومن ثمّ تستباح الأعراض والحرمت، وتسفك الدماء وتزهق الأرواح.

03- يؤدي إلى تشتت الأمة وتفرقتها إلى فرق وطوائف تكيد لبعضها، مما يهدم أركان جسم الأمة الإسلامية، ويقضي على وحدتها ومقوماتها ويجعلها لقمة سائغة لأعدائها.

04- التطرف الديني يسبب تشنجات وشروخا في النسيج الاجتماعي، بدءا بتمزيق الروابط الأسرية في بيوت المسلمين، ووصولاً إلى توهين العلاقات داخل المجتمع الواحد.

05- يعطي الفرصة والذريعة لأعداء الإسلام لضرب كلّ مقومات الأمة ومقدراتها ومؤسساتها بدعوى محاربة العنف والإرهاب.

ثانياً: أساليب الغزو الفكري: ذكرنا في العنصر السابق أهم التيارات التي تهدد الأمن الفكري للأمة الإسلامية، وفي الواقع أنّ لكلّ تيار من هذه التيارات خطته وبرامجه وأساليبه ووسائله في تحقيق أهدافه وإنجاز خطته. والمقام لا يتسع لبيان كلّ هذه المفردات والتفصيل فيها.

ولذلك سأشير -على وجه الإجمال- إلى أهمّ الأساليب المستعملة -من طرف تيارات التغريب والعلمانية والتطبيع - في هذه الحرب الفكرية المعاصرة، وهي كالتالي: ²⁹

01- حملات تشويه ممنهجة طالت كل ما يتصل بالإسلام من عقائد ونظم وفكر وتراث.

02- الترويج لشعارات المدنية والحضارة والتقدم.

03- تشجيع الحركات النسوية التي تدعو إلى أفكار التحرر والانحلال.

04- الدعوة إلى الفجور والسفور والإباحية والحرية المطلقة

05- إحياء النعرات الجاهلية وإذكاء القوميات المختلفة داخل جسم الأمة العربية والإسلامية.

06- تغريب التعليم والثقافة وتشويه صورة العلماء والمرجعيات الدينية.

وبالنسبة لاتجاه التطرف الديني فإنّ أساليبه تتمثّل فيما يلي:

01- الدعوة إلى استبعاد المذاهب الفقهية المعتمدة. وأخذ الأحكام الشرعية من الوحي مباشرة.

02- الادعاء بإتباع ما كان عليه الحال في القرون الثلاثة الأولى للإسلام شكلاً ومضموناً.

03- محاربة كلّ جماعة أو عالم مخالف للرأي وتشويه صورته والتحذير منه.

04- الترويج لعلماء معينين والحث على إتباعهم وأخذ العلم عنهم دون غيرهم.

الفرع الثاني: روافد الأمن الفكري

المقصود بروافد الأمن الفكري هي تلك المؤسسات المنوط بها بناء الفكر الأصيل لدى الفرد والمجتمع وتعزيزه وحمايته من كل المهددات والمؤثرات الخارجية. وسأنتطرق في هذا الفرع إلى أهم هذه المؤسسات الرسمية والأهلية. مكنفيا بإشارة موجزة لأهمية كل منها:

أولاً: الحكومات: لا شك أنّ أفضل مؤسسة وأقواها في التصدي للغزو الفكري هو الأنظمة القائمة على شؤون البلاد العربية والإسلامية، وذلك لأنها تملك ما لا تملكه باقي المؤسسات، وتستطيع فعل ما لا يفعله غيرها من الأفراد والهياكل، والأمل الأكبر منعقد عليها في الاضطلاع بمهمة تحقيق الأمن الفكري وحمايته، من خلال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة، وخاصة فيما يتعلّق بالتعليم والثقافة والإعلام.³⁰

ثانياً: التعليم: تعد المؤسسات التربوية والتعليمية من أكثر مؤسسات المجتمع تحملاً لمسؤولية بناء الفكر المعتدل والحفاظ على هوية الأمة وثقافتها ولغتها من خلال تربية الأطفال وتنشئتهم على حبّ الدين والوطن والقيم، وغرس روح الولاء والبراء في أنفسهم بشتى الوسائل والأساليب التربوية المتاحة.³¹ وتبرز أهمية التعليم في عملية البناء عموماً، وبناء الفكر خصوصاً من خلال مؤسساته المختلفة كرياض الأطفال، والمدارس والجامعات. حيث يتمّ في هذه المؤسسات صناعة العقول وصياغة الأفكار وبناء الشخصيات وتقويم السلوكيات، وغرس القيم والأخلاق واكتشاف المواهب والقدرات وسقلها وتنميتها وتوظيفها في خدمة الإسلام والمسلمين.³²

ثالثاً: المسجد: "للمسجد مكانة سامقة في الإسلام؛ إذ مثل معراجاً لأرواح العباد في اتصالها بالخالق عز وجل، و مهوى أفئدة المؤمنين، ومرتع العقول التواقئة للاستبصار بنور الوحي، و ملاذ الباحثين عن أوثق الأواصر بين أفراد المجتمع، فضلاً عن كونه شكّل محور حياة المسلمين قاطبة في عهد رسول الله، و فيما لحقه من عصور." ³³

وللمسجد عدّة وظائف وأهداف روحية وتعبدية وتربوية وتعليمية واجتماعية يسعى لتحقيقها داخل المجتمع بكلّ أطرافه وشرائحه، وذلك بما توفّر لهذه المؤسسة العريقة من أئمة ودعاة ورجال أكفاء، وبما أتيح له من أساليب ووسائل مناسبة تعين على ذلك، وبالرغم من تقلص مهام المسجد على ما كانت عليه في العصور الأولى في التاريخ الإسلامي، وتحول صلاحية تأطيره وتسييره إلى الدولة من خلال وزارة الشؤون الدينية والأوقاف أو ما يماثلها في شتى البلاد الإسلامية؛ إلا أنّ الإمام الداعية الرسالي يستطيع تفعيل مسجده والرقى بوظائفه بما يحقق الأهداف المنشودة ولا يخالف القانون.

وقد جاء في المادة 08 من القانون الأساسي للمسجد-بعد تعريف المسجد وذكر وظائفه- " يضطلع المسجد بوظيفة توجيهية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال المساهمة على الخصوص في:

-تعزيز الوحدة الدينية والوطنية عن طريق دروس الوعظ والإرشاد.

-حماية المجتمع من أفكار التطرف والتعصب والغلو.

-ترسيخ قيم التسامح والتضامن في المجتمع وتثبيتها.

-مناهضة العنف والكرهية.

-صدّ كل ما يسيء للوطن.³⁴

رابعا: الأسرة: وهي رابع مؤسسة تربوية تعنى ببناء الأمن الفكري وتعزيزه وتحصينه ضدّ كل غزو فكري أجنبي، وبما أنّ موضوع بحثنا يتعلق بالأسرة -أساسا- ودورها في هذا المجال، فإنّ الحديث عنها بالتفصيل سيكون في المبحث الموالي- بإذن الله-

المبحث الثاني: دور الأسرة في بناء الأمن الفكري وتعزيزه

تعدّ الأسرة أهم رافد من روافد البناء الفكري وتعزيزه، لما لها من تأثير قويّ ومباشر ومستمرّ على الأفراد، وفي هذا المبحث سيتمّ التطرّق- في مطلب أول- إلى مفهوم الأسرة، وبيان نطاقها ودورها في تشكيل الفكر الأمن لدى أفرادها. وفي المطلب الثاني سنتناول مختلف الواجبات التربوية الملقاة على عاتق الأبوين تجاه أبنائهم، وبيان مختلف الآليات المؤهّلة للأسرة للقيام بمسؤوليتها في تحقيق الأمن الفكري لدى أفرادها.

المطلب الأول: مفهوم الأسرة ومكانتها في تحقيق الأمن الفكري

في هذا المطلب سيتمّ الوقوف على ماهية الأسرة المقصودة من هذا البحث، وإبراز مكانتها ودورها المنشود في بناء الأمن الفكري

الفرع الأوّل: مفهوم الأسرة:

مصطلح "الأسرة" من المصطلحات التي تغيّر مفهومها بتطوّر الأزمنة واختلاف الأمكنة، حيث تنوّعت أشكالها وتعددت وظائفها وطرق إنشائها، وفيما يلي سيتمّ بيان مفهومها في اللغة والاصطلاح، واختيار التعريف الإجرائي المقصود في عنوان هذا البحث.

أولاً: تعريف الأسرة لغة: جاء في لسان العرب: الأسرة: الدرع الحصينة؛ والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته.³⁵ وفي تاج العروس: الأسرة (من الرجل: الرهط الأدنون) وعشيرته، لأنه يتقوى بهم.³⁶

ثانياً: تعريف الأسرة اصطلاحاً: لقد شكل تعريف الأسرة عند علماء الاجتماع صعوبة كبيرة؛ وذلك نظراً لتعدد أنماطها وتغيُّرها المستمر³⁷، لكن هذا لم يمنع الباحثين في علوم الاجتماع من إعطاء تعاريف ومفاهيم للأسرة حسب أنماطها وأشكالها المختلفة، وقد ورد في قاموس علم الاجتماع أن الأسرة هي: "جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة - تقوم بينهما رابطة زوجية مقررة - وأبناؤهما"³⁸.

ويظهر أن هذا التعريف قد اعتمد على النمط الحديث الذي آلت إليه الأسرة، فبعد أن كانت في القديم تطلق على "القبيلة" أو "العشيرة"، صارت تطلق على العائلة وهي: "منظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية وأخلاقية ودموية وروحية"³⁹ وذلك لأن العائلة - عادة - تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين والمتزوجين وأبناؤهم وغيرهم من الأقارب كالعم والعمة... ويعيشون حياة اقتصادية واحدة تحت إشراف رئيس العائلة⁴⁰، لتصبح في العصر الحديث عبارة عن "جماعة اجتماعية تربط أفرادها روابط الدم والزواج، يعيشون معيشة اجتماعية واقتصادية واحدة"⁴¹، وهي ما يطلق عليها علماء الاجتماع - أيضاً - "الأسرة النواة" لما تتميز به من صغر حجمها حيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين، ويرى كثير من الباحثين في علم الاجتماع الحضري أن هذا النموذج من الأسرة هو الذي يتزايد انتشاره في المجتمعات الحضرية⁴².

وفي ميدان الشريعة الإسلامية لم أقف في مصنفات الفقهاء القدامى على استعمال لفظ الأسرة، وإن كانوا قد استخدموا ما يرادفها من ألفاظ مثل: الأهل، الآل، البيت وغيرها. أما في العصر الحديث فقد جنح العلماء إلى مصطلح "الأسرة" لشيوع استخدامه، ومن التعريفات التي توسعت في مفهوم الأسرة؛ تعريف عطية صقر حيث قال: "والأسرة في نظر الشرع هي الجماعة التي ارتبطت ركناتها بالزواج الشرعي، والتزمت بالحقوق والواجبات بين طرفيها، وما نتج عنها من ذرية وما اتصل بها من أقارب"⁴³. ومن التعريفات التي ضيّقت من مفهوم الأسرة ما ذكره توفيق الواعي بأنها: "الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية بين رجل وامرأة، ثم يتفرّع عنها الأولاد."⁴⁴

وفي ميدان القانون نجد أنّ المشرع الجزائري عرّف الأسرة بقوله: أن "الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع، وتتكون من أشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة."⁴⁵

ويظهر من خلال التعريف أن المشرع الجزائري لم يوضّح جيدا نطاق الأسرة ، وذلك عند استعماله عبارة "صلة القرابة" التي هي عامة وشاملة لجميع القرابات من أصول وفروع وحواش وغيرها، إلا أنه وفي نص آخر وبعد تعريفه للزواج بين أنّ " من أهدافه تكوين أسرة أساسها المودة والرحمة"⁴⁶، ولا شك أنه يقصد الأسرة النواة لأنه يتكلم عن نشأة الأسرة، ويعضد هذا التوجه تفرقة ضمينا بين الأسرة والقرابة لما تحدثت عن واجبات الزوجين،⁴⁷ إذ ذكر في البند الثالث: "التعاون على مصلحة الأسرة" وفي البند السادس: "المحافظة على روابط القرابة والتعامل مع الوالدين والأقربين بالحسنى والمعروف".

والخلاصة في تعريف الأسرة : أن هناك تقاربا كبيرا بين المفهوم اللغوي والاجتماعي والشرعي والقانوني في تعريفهم لها؛ حيث لا تعدوا أن تخرج الأسرة عن كونها: "وحدة اجتماعية تتكون من زوجين شرعيين وما ينبجانه من أولاد." ولا شك أنّ هذا التعريف هو المقصود في هذا البحث.

الفرع الثاني: مكانة الأسرة في تحقيق الأمن الفكري:

إنّ أوّل مؤسسة تحتضن الطفل عند خروجه إلى هذه الدنيا هي الأسرة، حيث لا يرى ولا يسمع ولا يعرف ولا يحسّ إلاّ بوالديه طيلة سنوات ضعفه وعجزه، فهما مصدر طعامه وشرابه وعلاجه وأمنه وإدراكه ومعرفته، ومن خلالهما يُبنى جسمه وعقله، ويتشكّل فكره ووجدانه. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الوظيفة الخطيرة، والمهمّة العظيمة داخل الأسرة بقوله: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه.." ⁴⁸

وكما هو معلوم أنّ ركائز تربية وتوجيه الطفل أربعة: وهي البيت والشارع والمدرسة والمجتمع، وهي التي - بمجمّلها- تعطي الحصيصة النهائية للعملية التربوية، إلاّ " أنّ البيت هو المؤثر الأول. وهو أقوى هذه العوامل الأربعة جميعاً. لأنه يتسلم الطفل من أول مراحلها فيبذر فيه بذوره قبل أي شيء أو أي أحد آخر، ولأنّ الزمن الذي يقضيه الطفل فيه أكثر - في سنواته الأولى على الأقل- ولأنّ الأشخاص المحيطين بالطفل فيه هم ألصق الناس جميعاً به وأحبهم إليه -وخاصة أمّه- ومن ثم فهم أكثر الناس تأثيراً فيه بالقدوة وبالتلقين على السواء." ⁴⁹

كما أنّ الأسرة تعدّ أوّل نظام إنساني اجتماعي في هذه المعمورة، و الخلية الأساسية الأولى لبناء المجتمعات و الأمم، لذلك حظيت بتكريم المولى عزّ و جلّ لها، و اعتُبر عقد إنشائها ميثاقاً غليظاً، و فضّه مباحاً بغيبضا، و نالت من الأحكام الشرعية و الآداب ما ينظّم شؤونها، و يضمن استقرارها و دوامها. و هو ما سعت إلى تحقيقه التشريعات الوضعية، حيث راحت تنوّه بقدسية الأسرة في دساتيرها، و تُفرد لها قواعد و قوانين خاصة بها. و هذا ما أكّده المشرع الجزائري في المادة (71) من الدستور بقوله: " تحظى الأسرة بحماية الدولة." ⁵⁰

ولما كانت الأسرة بهذه الأهمية البالغة في تكوين شخصية الطفل، ولديها هذه المكانة السامية في المجتمع والدولة والأمة، وتحظى بعناية كبيرة داخل التشريع الإسلامي؛ فإنها كانت أكثر استهدافا من طرف التيارات الفكرية الهدامة، ولاقت من التآمر والغزو الثقافي والإعلامي أكثر مما سواها، ولا تزال القوى المعادية للدين والأمة تضغط على الدول العربية والإسلامية من أجل النيل منها، وإضعاف دورها التربوي التحصيني.

ومما يؤسف له في هذا الصدد؛ هو الدور السلبي والخطير الذي تلعبه المنظمات والهيئات الأمية، حيث تسعى هذه الجهات من خلال المؤتمرات والملتقيات إلى فرض نمط أسري حضاري عالمي موحد، بعيدا عن الثقافة العربية والإسلامية، وذلك مثل الدعوة إلى إلغاء قوامة الرجال على النساء، وإزالة جميع أشكال التمييز على أساس الجنس، وباختصار؛ تسعى منظمة هيئة الأمم المتحدة -بمختلف أجهزتها ومؤسساتها- إلى عوامة النموذج الأسري الغربي.⁵¹

وبناء على ما سبق ذكره؛ كان لزاما على الأسرة المسلمة أن تدرك مكانها في خضم هذا التدافع والصراع الحضاري، وأن تعي دورها المهم والخطير في التصدي لهذه الهجمات الشرسة التي تريد النيل منها ومن كل مقومات ومقدرات الأمة الإسلامية، وأن تقف شاحخة معترزة بدينها وقيمها وتراثها وثقافتها الأصيلة. وتحقق لأفرادها وأبنائها أمنا فكريا يكون سدا منيعا ومميتا لكل فكر أجنبي فاسد.

المطلب الثاني: واجبات الأسرة ومؤهلاتها لبناء الأمن الفكري وتعزيزه:

لما كانت الأسرة هي المحضن الطبيعي لرعاية الأطفال، والمدرسة الأولى في تربيتهم وتعليمهم، وقع على عاتق الوالدين جملة من الالتزامات والتبعات تجاه أولادهم، وترتب عليهما مسؤولية شرعية وأخلاقية أمام الواهب عز وجل الذي حباهم بنعمة الولد، وأمرهم بحسن تربيته وتأديبه وتعليمه، مصداقا لقوله ﷺ: (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته) .. والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤولٌ عنهم والمرأة راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدهِ وهي مسؤولةٌ عنهم .. ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته)⁵²

ومن أهم وأخطر مجالات هذه الرعاية: هو بناء الفكر الآمن لدى الأبناء وتحصينه من كل معتقد دخيل أو فكر منحرف. وهذا ما سيتضح من خلال الفرعين الآتيين، بدءا ببيان الواجبات المنوطة بالأسرة ثم الحديث عن الآليات المطلوبة لتأهيل الأبوين من أجل القيام بهذا الدور التربوي المنشود.

الفرع الأول: واجبات الأسرة لبناء الأمن الفكري وتعزيزه:

لاشكَّ أنّ وظائف الأسرة كثيرة، ومجالات عملها متعددة ومتنوعة، ولا يسع المجال لذكرها فضلا عن التفصيل فيها، لذلك سيتمّ الاكتفاء بما هو متعلق ببناء الأمن الفكري لدى الأبناء وتعزيزه وحمايته، والذي هو جزء لا يتجزأ مما يطلق عليه: " التربية الإسلامية".

ومن باب المنهجية سيتمّ تقسيم هذه الواجبات التربوية إلى قسمين: من حيث المضمون والشكل. حيث يتناول المضمون بناء القيم والمبادئ، والشكل يتعلق بالأساليب والوسائل.

أولاً: بناء القيم والمبادئ: بغضّ النظر عما يسبق مرحلة الولادة من أحكام شرعية، وتوجيهات تربوية، تتعلق بموضوع الزواج وحسن الاختيار وآداب العشرة ورعاية الجنين وغيرها، فإنّ الحديث عن بناء القيم والمبادئ سيبدأ منذ استهلال المولود وخروجه إلى هذه الحياة حيّا يرزق. وفيما يلي سيتمّ عرض هذه الواجبات التربوية من خلال ثلاثة أركان أساسية تُبنى عليها شخصية الولد السويّ، وهذه الأركان هي: العقيدة والفكر والأخلاق.

01- البناء العقدي: أجمع علماء الإسلام على أنّ أهمّ وأوّل مقصد ضروري وجب تحقيقه في هذه الحياة هو مقصد: "حفظ الدين"، وذلك لأن الحياة بطولها وعرضها وحاجاتها ومتطلباتها ما هي إلاّ امتحان مؤقت في مدى عبودية الإنسان لمخالقه عز وجلّ. ومن ثمّ وجب على الأسرة المسلمة أن تبذل جهدها في بناء العقيدة والإيمان في نفوس أبنائها، وذلك من خلال النقاط الآتية:

أ- غرس الإيمان: إنّ الإيمان هو أساس الأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام 82] ويبدأ غرس الإيمان في قلوب الأبناء من أول يوم يخرج فيه المولود إلى هذا الوجود، بل حرص الشارع الحكيم أن يكون أول ما تسمعه أذنا الولد بعد خروجه من رحم أمّه هو " شهادة التوحيد"، قال ﷺ: (افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلاّ الله ..)⁵³، فإذا جاء وقت النطق؛ حرص الوالدين على تلقينه كلمة التوحيد، قال ابن القيم: " فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا"⁵⁴

وها هو سيدنا لقمان عليه السلام يعظ ولده بأن يكون مؤمنا موحدا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان 13] وهذا منهج الأنبياء في غرس عقيدة التوحيد في قلوب أبنائهم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا بِنَا إِبْرَاهِيمَ بِبَيْتِهِ وَيَعْقُوبَ يَا بُنَيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة 132]

قال الغزالي: " اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان.. " 55

ب-تعهد العبادة: إذا وصل الطفل إلى سنّ التمييز، حُقّ على والديه تعليمه الطهارة والصلاة، وترغيبه فيهما ببيان أهميتها وفضلها، وتعويدته على إقامتها في وقتها دون ماطلة أو تسويق، بل جاز للوالدين تأديب الولد بالضرب ونحوه بعد سنّ العشرة إن هو تركها أو تخاذل في آدائها، مصداقاً لقوله ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ) 56

ولا شك أنّ الصلاة هي عماد الدين، وبها يستقيم الولد على سائر العبادات والطاعات، ومنها يتعلم الصبي الدين والنظام والانضباط، كما أنّ الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر وسوء الفكر والاعتقاد، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت 45] كما يجب على الوالدين تبيان بقيّة العبادات والشعائر الدينية على حسب عُمرِ الصبي، كتعويدته على صيام بعض الأيام في شهر رمضان قبل سنّ البلوغ.

ج-زرع قيمة التقوى: قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة 197]. أي: نعم، ليس هناك أعظم من خلق التقوى إذا تغلغل إلى سويداء قلب الولد وفؤاده، وملك وجدانه ومشاعره، لأنّ خشية الله تعالى والخوف منه يشكّل رقابة ذاتية دائمة للولد، تصونه من أيّ شهوة جامحة أو شبهة واردة، وتقيه من كلّ شرّ ورزية، وتخرجه من كلّ ضيق وبلية، مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق 03].

بل إنّ التقوى إذا خالطت قلب امرئ منحه الله عز وجلّ فرقاناً من عنده يفرّق به بين الحقّ والباطل، ونورا من لدنه يكشف له الطريق القويم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال 29]. قال ابن القيم: " ومن الفرقان النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل، وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم، وباللّهُ التوفيق. " 57

02-البناء الفكري: ومع تغذية الروح بالإيمان وتركيتها بالتقوى والعبادات؛ وجب على الأسرة أن تهتمّ بالبناء الفكري والعلمي لدى أبنائها، فالرسالة الخالدة للبشرية استهلّت في نزولها بكلمة "اقرأ"، والعقيدة الإسلامية نفسها لا تتحقق وترسخ إلاّ بالعلم والفكر ﴿ فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد 19]. وفيما يلي بيان أهمّ المنطلقات في عملية البناء الفكري والعلمي.

أ-التعليم القرآني: إنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعله معجزة خالدة إلى يوم الدين، بما حواه من إعجاز وإبداع في معانيه ومبانيه ومراميه، ومن أراد السعادة في الدارين عكف على تلاوته وحفظه وفهمه وإتباع أوامره واجتناب نواهيه، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. ﴾ [الإسراء 09]

إنّ هذا القرآن العظيم الذي بين أيدينا هو الذي بنى جيلا رابعا من الصحابة والتابعين عليهم الرضوان، وجعلهم يوحدون القبائل العربية المتناثرة ويصنعون منها أمة ودولة عظيمة، أسقطت أعتا الإمبراطوريات آنذاك، وهيمنت على العالم أجمع في أقلّ من مائة عام، وضلّت حضارتها في رقيّ وازدهار وريادة وسيادة لقرون عديدة.

لأجل هذا وجب على الآباء تسميع أبنائهم كلام خالقهم قبل مرحلة النطق، وتعليمهم إيّاه بعد ذلك تلقينا وحفظا وترتيلا وتدبرا وتطبيقا وفق ما يناسب أعمارهم، قال ﷺ: (أدّبوا أولادكم على ثلاث خصالٍ حُبِّ نبيِّكم وحبِّ أهلِ بيته وقراءة القرآن فإنَّ حملة القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلُّ إلا ظلُّه مع أنبيائه وأصفيائه) ⁵⁸ قال السيوطي: "تعليم الصبيان أصلٌ من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبقُ إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكُّن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال" ⁵⁹

لذلك فإنّ الإعراض عن كلام الله أو هجره مدعاة إلى الضلال والشقاء، قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى.﴾ [طه 124]. قال ابن القيم: "فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية وإتباع الدليل، والاعتصام بالله، يوجب له القوة والعدة والسلاح، والمادة التي يستلزم بها في طريقه." ⁶⁰

ب-حب العلم والقراءة: ممّا يجب على الوالدين - شرعا وقانونا- تعليم أبنائهم وإحاقهم بالمؤسسات التربوية والتعليمية، ومتابعتهم طيلة مسارهم الدراسي، وتوفير مستلزمات التعلّم، وتشجيعهم على التفوّق والتميّز، وإتمام جوانب النقص والضعف فيهم من خلال دروس الدعم والدورات التعليمية وغيرها.

وممّا يجب على الأولياء التركيز عليه: هو الضروري من علوم الدين، كأصول الاعتقاد وفقه العبادات وبعض المعاملات على المذهب الفقهي السائد، وذلك حتى يعبد الولد ربه عز وجلّ على بينة من أمره. كما يُنصح في فترة الصبا بكثرة المحفوظات ممّا لخصه العلماء نثرا وشعرا في مختلف العلوم والفنون.

ولا يخفى على العقلاء أنّ للتعليم طرق ومناهج وأولويات تتناسب مع عمر الولد ومدى نباهته، والمتفق عليه هو البدء بالسهل ثمّ الصعب، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. ﴾ [آل عمران 79] قال البخاري: "ويقال: الرّبّ في الذي يربّي الناس بصغار العلم قبل كباره" ⁶¹

ويزيد ابن حجر المعنى إيضاحاً بقوله: " المراد بصغار العلم: ما وضع من مسأله. وبكباره: ما دقّ منها. وقيل: تعليمهم جزئياته قبل كلياته أو فروعها قبل أصوله أو مقدماته قبل مقاصده "62

ومّا يجب على الوالدين غرسه في نفوس أبنائهم هو محبة المعلمين واحترامهم وطاعتهم وإكرامهم، وحبّ كل علماء الإسلام من أهل الوسطية والاعتدال، وقراءة مصنفاتهم والاستماع لمحاضراتهم والدعاء لهم، والتحذير من مغبة تجريحهم والخوض في أعراضهم كما يفعل بعض السفهاء.

وفيما يخصّ سلامة مصادر التلقّي فأثّه يجب " ربط الأبناء بتاريخ الأجداد وتراثهم الوضّاء المشرف، حتى يطلّوا على صلة بهذا التراث الأصيل متمسكين بقيمه، ومقتدين بأهل الخير والرشاد ورواد الإصلاح في الشعوب والأمم، ممّا يسهم في ترسيخ الهوية الإسلامية والمحافظه عليها، ووقايتها من الاختراق الفكري الثقافي في عالم يضحج بالأيديولوجيات والأفكار والمذاهب الهدامة التي تستهدف إضلال عقول الأبناء وإفساد هويتهم."63

ومن القيم التي يُنصح بها في هذا الشأن؛ تعويد الأطفال على القراءة والمطالعة، وتشجيعهم عليها حتى تصبح من عاداتهم اليومية، ويا حبّذا لو يفتح النقاش على مستوى كلّ أفراد الأسرة في كلّ فكرة مهمة، أو عند استكمال مطالعة كتاب معيّن، وتستخرج المعلومات والفوائد والعبر بشكل جماعي، وبهذا ينمو عقل الولد، ويتسع فكره وتتفتّق مداركه، وتتكوّن لديه ملكة لغوية وفكرية جيدة، تساعد على فهم القضايا والمسائل مستقبلاً، وتعيّنه على انتقاء المعارف والأفكار المفيدة، وطرح المذاهب الرديّة والأفكار الهدامة.

ومّا يجب تربية النشء عليه - كذلك - هو الوعي " بأحوال العالم المعاصرة، وأحوال المسلمين في ظروفهم الراهنة، ومكايد الأعداء ومؤامراتهم الدائمة ضدّ الإسلام وتدسّسهم إلى حياة المسلمين بالغزو الفكري وغيره من أساليب الحرب"64 التي لا تسأم قوى الطغيان والاستكبار في تطويرها وتعزيزها لضرب مقومات الأمة الإسلامية، وإخراجها من دينها الذي ارتضاه الله عزّ وجلّ لها، مصداقاً لقوله جلّ شأنه فيهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة 217]

03- البناء الأخلاقي: إنّ الخلق الحسن هو ثمرة الإيمان الكامل، مصداقاً لقوله ﷺ: (إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا).65 يقول ابن القيم: " ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد وغضب ولجاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش وحدة وجشع فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها وكذلك

يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء فإنه إذا علق بسمعه عسر عليه مفارقتة في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه فتغيير العوائد من أصعب الأمور.⁶⁶

ويركز الوالدان في هذا المضمار على خلق الصدق والصبر والأمانة وحفظ السرّ وسلامة الصدر والتسامح وحسن الأدب والمعاملة، وإثما لمهمة شاقة وصعبة، ولا يطيقها إلا من أعانه الله عليها ووقفه لها، لكن في المقابل ثمرتها طيبة، وأجرها عظيم. قال عليه الصلاة والسلام: (ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن)⁶⁷ وقال ﷺ -أيضا- (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم).⁶⁸ يقول صاحب الإحياء مبيّنا أهمية البناء التربوي للأولاد: " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والصبيان أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له " ⁶⁹

ومّا يُنصح به الآباء -أيضا- غرس خلق الكرم والسخاء في أبنائهم، وتعويدهم على فعل الخير ومساعدة الآخرين دون منّ ولا أذى، قال ابن مسعود رضي الله عنه: " حافظوا على أبنائكم في الصلاة، وعودوهم الخير، فإنّ الخير عادة"⁷⁰ وقديما قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منّا *** على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن *** يعود التدين أقربوه

ثانيا: الأساليب والوسائل: لا شك أنّ التعامل مع النفس البشرية هو من أصعب الأعمال، خاصة إذا كان صاحب هاته النفس ضيق الأفق، صغير العقل، قليل الحلم، غير مدرك لمقاصد الأمور ومآلاتها، فهنا يتحتم على المربين الاجتهاد في استخدام أفضل الأساليب التربوية في بناء القيم والمبادئ -المشار إليها سابقا- وفيما لي بيان لهاته الطرق والأساليب على وجه الاختصار:

01- القدوة المثالية: لقد جُبل الأبناء على تقليد آبائهم في كلّ شيء، ومن هذا المنطلق يستطيع الوالدان غرس القيم والمبادئ في نفوس أبنائهم من خلال التطبيق الفعلي لها أمام مرأى ومسمع أولادهم، وبهذا يتم التأثير التربوي المباشر، والانتقال السلس للأفكار والأخلاق من الآباء نحو الأبناء دونما عناء كبير أو مشقة. وكما قيل: حال رجل في ألف بلغ من مقال ألف في رجل.

02- تنويع الخطاب: يفترض في الوالدين عدم الإكثار من أسلوب الوعظ، لأنّ ذلك يصيب الأولاد بالملل والضجر، وربما التسخّط والنفور، لذلك يجبّد التفكير في طرق ووسائل أخرى تعمل على زرع الفكر الآمن

والسلوك الحميد بأسلوب مناسب ومشوّق، وذلك مثل: رواية القصص، وإقامة المسابقات، ومشاهدة الفلام الهادفة، وزيارة أهل العلم وأصحاب الهمم العالية، والحوار الهادئ وغيرها.

03- ربط الأولاد بالكتاب: القراءة مهمّة جدا في تكوين شخصية الطفل، واستقامة فكره وسلوكه، وعلى الأسرة توفير الكتب والروايات الهادفة والمناسبة لأعمار الأطفال، وتكوين مكتبة منزلية متنوعة، واصطحاب الأولاد إلى المكتبات الخاصة والعامة، وزيارة معارض الكتاب المحلية والوطنية، وحثّ الأبناء على اقتناء الكتب والقصص من مصروفهم الخاص، كما يجبّذ أن تكون الكتب ضمن ما يُهدى للأولاد في مختلف المناسبات والنجاحات.

04- الرفقة الصالحة: إذا تقدّم عُمر الأولاد نحو مرحلة البلوغ والشباب، قلّ تقليدهم وتأثرهم بالوالدين، وصار تأثير الأصدقاء والزملاء أكثر، وذلك بحكم بروز نزعة الاستقلالية لديهم، ولتقارب السنّ مع الأصدقاء والاشتراك في الاهتمامات والطموحات وغيرها. وهنا يتحوّل دور الوالدين إلى انتقاء الرفقة الصالحة من أحاب الدين القويم، والخلق المتين، والفكر المستنير، فقد قال عليه السلام: (الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُجَالِلُ) ⁷¹

ومّا يُصح به في هذا الشأن؛ اختيار رفقة مؤطرة في محضن تربوي تعليمي، كشباب مسجد، أو طلبة مدرسة قرآنية، أو أفراد فوج كشفي، أو أعضاء جمعية خيرية أو ناد ثقافي أو رياضي. لأنّ هذا سيضيف دعما تربويا آخر إلى تربية الأسرة، كما أنّ هذه التربية الجماعية تُشكّل حصنا لفكر الأولاد من كلّ زيغ أو تطرّف، مصداقا لقول النبي ﷺ: (فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ) ⁷²

05- المراقبة المستمرة: في العمل التربوي لا يكفي الاعتماد على عملية البناء فقط؛ بل يجب -أيضا- حماية هذا البناء من الانحراف أو التلف أو السقوط، لذلك وجب على الوالدين أن يهتمّا بمتابعة أبنائهم في كلّ شؤونهم، ومراقبة أقوالهم وأفعالهم وتصرفاتهم باستمرار، وتسجيل كلّ الملاحظات المهمّة وتحليلها وتصنيفها والتفكير في آليات معالجتها وتقويمها، خاصة تلك المتعلقة بالانحرافات العقائدية والفكرية، والاختلالات التربوية السلوكية التي تهدّد الأمن الفكري، وتقضي على ما تمّ بناؤه من قيم ومبادئ وأخلاق.

وأهمّ ما يجب مراقبته في هذا الشأن؛ هو ثلاثة أمور أساسية:

أ- الرفاق: بما أنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا شكّ أنّ كلّ ولد سيّخذ أصدقاء يصاحبهم ويلهو معهم، وهذا أمر فطري وطبيعي، لكن يجب على الوالدين أن يتعرّفوا جيّدا على هؤلاء الرفقاء، وعلى أسرهم، ومعرفة

مدى صلاحهم، فإن كان فيهم معلول التربية، أو مشوّه الفكر، حذروا منه ولدهم، وأبعده عنه، وحرصوا أشدّ الحرص على ألاّ يصاحب ابنهما إلاّ الرفقة الصالحة.

ب- التلفاز: يشغل التلفاز وقتا كبيرا في حياة الأطفال، خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه فيه القنوات الفضائية وتنوعت، وصار للأطفال برامج وقنوات خاصّة بهم. لذلك وجب على الوالدين مراقبة هذه البرامج والقنوات، وحذف كلّ برنامج أو قناة تهدّد الأمن العقدي والفكري والأخلاقي للأولاد، وما أكثر هذه القنوات التي تعمل على مسح الهوية الدينية واللحمة الوطنية، والفتك بالقيم والمبادئ من خلال نشر الإلحاد والانحلال والأفكار المنحرفة وسوء الأدب والعنف وغيرها من السموم التي باتت تغزو بيوت المسلمين في كلّ مكان، وتهدّد بنیان الأسرة المسلمة، وتهدم ما بينه الآباء والأمهات من قيم وأخلاق من خلال تلك البرامج الهابطة، والأفلام المشينة، والرسوم المسمومة.

ج- الانترنت: ممّا يجب أن يكون تحت الرقابة الأبوية -أيضا- هذه الشبكة العنكبوتية التي تمدّدت وتنوّعت ودخلت إلى كلّ البيوت، وسكنت معظم الهواتف الذكية، حتى صارت مواقع الانترنت والتواصل الاجتماعي أخطر المؤثرات الخارجية على عقول الصغار والكبار معا، وذلك لما تحتويه على برامج ومواد إعلامية موجّهة خصيصا لإفساد بيوت المسلمين، والقضاء على مقومات الأسرة والنسيج المجتمعي الآمن.

وممّا يؤسف له أنّ كثيرا من المواقع الإلكترونية- التي تديرها قوى الكفر والشّر والطغيان- صارت معول هدم للمقدسات والرموز الدينية، والقيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة، وأبواق سوء تزرع في أطفالنا بذور الإلحاد والتمرد على الدين والموروث الثقافي، وتبتّ فيهم سموم الفتن والفرقة والانحزامية. لذلك وجب على الوالدين مراقبة ما يشاهده الأبناء ويتابعونه على صفحات الشبكة العنكبوتية، والتحكّم في تقنيات التصفية والتشفير لإلغاء كلّ موقع سيء أو مناوئ أو مشبوه.

د- الألعاب الإلكترونية: قد يظهر من خلال لفظ "الألعاب" أنّ الأمر لا يكاد يخرج عن مجال التسلية والترفيه، " ولكنّ المتابع وخاصّة أولئك الممارسين لتلك الألعاب قبل غيرهم يعلمون أنّ في تلك الألعاب سلبيات لا حصر لها-أيضا- خاصّة على العقيدة، وهي أعزّ ما يملك الإنسان المسلم خلافا للسلبيات الصحية والاجتماعية والنفسية والأسرية وغيرها، والتي لا يعلمها معظم أولياء الأمور ولا يدركونها"⁷³

ولهذا يجب على الوالدين مراقبة هذه الألعاب، من خلال مشاهدتها وقراءة مراميها، وإبعاد كلّ ما هو سيء وبذيء، وانتقاء كلّ ما هو مسلّ وآمن. على أن تكون ساعات اللعب محدودة ومنظمة، حتى لا تضيق أعمار الأبناء في اللهو واللعب، أو يصيبهم الإدمان عليها فيرهقون وبمروضون.

06-الدعاء: جاء في الحديث النبوي: (إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ، اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) ⁷⁴

وهذا يعني أنّ الأمر كله بيد الله تعالى، يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم، ويضلّ من يشاء عن سواء السبيل، لذلك وجب على الأسرة المسلمة- بعد اتخاذ جميع الأسباب التربوية- أن تستعين بالله جلّ شأنه في هذا الأمر الجلل، وتلجأ إليه سبحانه بالطلب والدعاء بإلحاح واستمرار بأن يوفّقها في حسن الرعاية والتربية، وأن يحفظ أولادها من كلّ معتقد ضالّ، وفكر منحرف هدّام. فهاهو محمد ﷺ بعلو قدره سمّو خلقه؛ يدعو ربه جلّ وعلا قائلاً - في تتمّة الحديث السابق-: (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)

ومّا علمنا القرآن العظيم - كذلك- علوّ الهمة في الدعاء، حيث جاء في سورة الفرقان على لسان عباد الرحمن قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فِرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان 74] ، وليحذر الوالدان من الدعوة على الأولاد في لحظة ضعف أو غضب، فلربما استجاب الله دعوتهما في ساعة استجابة، فتصبح وبالا عليهما وعلى ذريتهما، قال عليه الصلاة والسلام: (لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أُمَمًا لَكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ). ⁷⁵

الفرع الثاني: آليات التأهيل الأسري لتحقيق الأمن الفكري

إنّ تحقيق الأمن الفكري لدى الأبناء والبنات داخل الأسرة؛ يتطلّب وجود أبوين مؤهلين للقيام بهذه الوظيفة الهامة والخطيرة، وعملية التأهيل الأسري هذه لا تختلف في أهميتها وضرورتها وآلياتها عن برامج تكوين المربين والمعلمين في مختلف المعاهد والجامعات، والتي تُشرف عليها وزارات ومديرات من خلال موارد مادية وبشرية هائلة، وللأسف لا يزال مربو أول مؤسسة وأهمّها في المجال التربوي دون رعاية أو تكوين أو تأهيل.

إنّ هذا الإهمال الرسمي لدور الأسرة وتأهيلها لا يعفي الزوجان- خصوصاً-، ولا مؤسسات المجتمع المدني - عموماً- من القيام بهذا الواجب المهمّ، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: اجتهاد الآباء الذاتي: " من البدهي أنّ قيام الآباء بدورهم في مجال التوجيه التربوي للأبناء لا يصحّ أن ينطلق دون تهيئة وإعداد علمي ومهني ينمي إمكاناتهم وقدراتهم، ويرفع من مستوى كفاءتهم، وهذا الإعداد ينبغي ألاّ يُترك لمحض الصدفة.. بل لابدّ من أن يقوم على أسس علمية تتحوّل إلى برامج عملية يُخطّط لها جيّداً، لما يليق بالمكانة التربوية للأسرة المسلمة التي تشكّل خط الدفاع الأوّل والحصن الأمين للأبناء والذي يجب أن يحتفظ بمركز الصدارة في رعاية الأبناء وتوجيههم " ⁷⁶

ويتحقق ذلك من خلال النقاط الآتية:

01- الاستفادة من منهج القرآن الكريم في التربية الإسلامية.

02- سؤال أهل التخصص التربوي والنفسي والاحتكاك بهم.

03- الاقتداء بالنماذج الناجحة في هذا المضمار.

04- اعتماد أسلوب التقويم الذاتي.⁷⁷

05- مطالعة الكتب المتخصصة في تربية الأولاد.

06- متابعة المحاضرات والندوات الخاصة بالتأهيل الأسري.

07- المشاركة في الدورات التكوينية والتدريبية الخاصة بشؤون التربية داخل الأسرة.

08- طلب العون والتوفيق من الله عزّ وجلّ لتحسين المستوى التربوي علما وعملا.

ثانيا: دور مؤسسات المجتمع المدني: إنّ مؤسسات المجتمع المدني تُعدّ شريكا اجتماعيا وتربويا في كلّ دول العالم، وهي عبارة عن مجموع الجمعيات والنادي والمراكز الأهلية، وتعمل في الغالب بصفة خيرية تطوعية، وتتنوّع أهدافها ومجالات نشاطها من مؤسسة إلى أخرى.

وبالرغم من ندرة أو قلّة المؤسسات المهتمّة بشؤون التأهيل الأسري، إلّا أنّ هذا لا يعفي المؤسسات ذات الطابع التربوي والثقافي أن تجتهد في تحقيق هذا المقصد الهامّ، وتلعب دورا أساسيا في هذا الشأن، وذلك من خلال:

01- تنظيم محاضرات وندوات خاصة بالمقبلين على الزواج، أو المتزوجين الجدد يتعرفون من خلالها على واجباتهم ووظائفهم في تأسيس الأسرة المثالية، ومقومات البيت المسلم الآمن.

02- تنظيم دورات تكوينية وتدريبية للأباء والأمهات حول كيفية التعامل مع الأبناء، تربية وتعلّما وتثقيفا.

03- إعداد فيديوهات ومطويات توضّح خطر الغزو الفكري وضرره الجسيم على عقول الأبناء.

04- إنجاز دليل خاص بقنوات الأطفال المفيدة والآمنة، يُوزّع على الأسر.

05- إنشاء خلايا من أهل الاختصاص الشرعي والتربوي والنفسي والاجتماعي، لتلقّي انشغالات الأولياء التربوية، والإجابة عنها، وتقديم الاستشارات والنصائح المناسبة.

مثل هذه النشاطات وغيرها، لا شكّ أنّها ستساهم بشكل معتبر في تأهيل الأسر، وتلقّيهم المعلومات والمهارات التي تعينهم على تربية أولادهم، وصيانة عقولهم وأفكارهم من أيّ زيغ أو انحراف. غير أنّ هذا لا يعفي

السلطات المختصة من واجبها الشرعي والدستوري في بناء الأمن الفكري وتعزيزه وحمايته بمختلف البرامج والوسائل والهياكل، وأول هذه الهياكل هي "الأسرة" باعتبارها المحض التربوي والتعليمي الذي يلازم الطفل منذ الولادة إلى ما بعد سنّ الرشد، وتستطيع الحكومات الجادة أن تحقّق إنجازات كبرى في مجال التأهيل الأسري، بما تمتلكه من سلطات ومؤسسات وموارد بشرية ومالية، وتستطيع الدولة في هذا الشأن تنظيم دورات إجبارية في التأهيل الأسري، وتشترط على الراغبين في الزواج تقديم شهادة نجاح في هذه الدورات ضمن الملف المطلوب لعقد الزواج، مثلما هو الحال في بعض الدول الإسلامية بشرق آسيا.

خاتمة

في ختام هذا البحث تمّ الوصول إلى النتائج الآتية:

- 01- الأمن الفكري هو حماية المنظومة الفكرية والثقافية المستخلصة من ديننا وتراثنا، من أي غزو فكري، يهدّد بنيان المجتمع أو الدولة أو الأمة، ويزعزع أركانها ونظامها، ويعطلّ من طاقاتها وقدراتها المعنوية والمادية.
- 02- يعدّ الأمن الفكري خطّ الدفاع الأول عن هويّة الأمة ومقوماتها ومقدراتها من أي عدوان ماديّ أو معنوي.

03- من أكبر الأخطار التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم، وتهدّد عقيدتها وثقافتها ووحدتها؛ هو تلك المذاهب والتيارات الفكرية الهدامة مثل: العلمانية والتغريب والتطبيع والتطرّف الديني.

- 04- إنّ الأسرة هي خطّ الدفاع الأول، ورأس الحربة في مكافحة الغزو الفكري، ودورها عظيم في بناء الأمن الفكري وترسيخه وحمايته، وذلك لمكانتها العالية ومركزها المحوري في الدين الإسلامي والعرف الاجتماعي
- 05- مسؤولية الأسرة كبيرة جدا في بناء الفكر الآمن، وواجباتها التربوية عديدة في هذا الصدد، ولن تصل إلى بناء الأمن الفكري لدى أبنائها إلاّ بسلوك منهج التربية الإسلامية بأهدافه ومضمونه وأساليبه ووسائله.

06- لا يمكن للأسرة أن تبني فكرا آمنا وتصونه من كلّ غزو أو اختراق، دون إعداد علمي وعملي جيّد يؤهلها للقيام بهذه المهمة الخطيرة الموكلة لها.

- 07- تأهيل الأسرة للقيام بوظائفها -عامة- وبناء الأمن الفكري -على وجه الخصوص- فريضة شرعية، وضرورة مجتمعية، تقع على عاتق الوالدين بصفة أساسية، وعلى عاتق الدولة والمجتمع المدني بدرجة أقلّ.

التوصيات:

- 01- تنظيم ملتقيات أكاديمية تعالج موضوع الأمن الفكري بكافة مجالاته وروافده.
- 02- إنشاء جمعيات متخصصة في تأهيل الأسرة للقيام بوظيفتها التربوية المنشودة.
- 03- اشتراط السلطة المختصة وثيقة اجتياز دورات التأهيل ضمن الملف المطلوب في عقود الزواج.⁷⁸

- 28 - رواه أحمد عن عبد الله بن عباس، مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وأخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط1، 2001. مسند بني هاشم، مسند عبد بن عباس، ج2، ص427. رقم الحديث 1851.
- 29 - سمير مثنى علي الأبارة: منهج القرآن في تقرير حماية الأكار، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان. 2013. ص 480-484.
- 30 - إسماعيل علي محمد: الغزو الفكري، التحدي والمواجهة، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 2013. ص311.
- 31 - نصر خليل فحجان: دور الإدارة المدرسية في تعزيز الأمن الفكري.. كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012. ص39.
- 32 - يحيى محمد عامر: مؤسسات البناء الفكري في ضوء القرآن الكريم، المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، الأردن. المجلد 1 العدد 1 سنة 2018.
- 33 - عبد الباسط المستعين: بنية مؤسسة المسجد و وظائفها عبر العصور، موقع منار الإسلام. تحديث 2021/02/02. [/https://www.islamanaar.com/structure-mosque](https://www.islamanaar.com/structure-mosque)
- 34 - مرسوم تنفيذي رقم 13-377 مؤرخ في 5 محرم 1435هـ الموافق ل 9 نوفمبر 2013 يتضمن القانون الأساسي للمسجد. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية العدد 58 بتاريخ 18/11/2013. ص4، 5.
- 35 - ابن منظور: لسان العرب، (م س)، ج4، ص19، 20.
- 36 - مرتضى الزبيدي: تاج العروس، (م س)، ج10، ص51.
- 37 - سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص51.
- 38 - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر. 1996. ص176.
- 39 - إحسان محمد الحسن: العائلة والقرابة والزواج- دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي- دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1985. ص09.
- 40 - عبد القادر القصير: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدنية العربية - دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري- دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1999. ص37
- 41 - حسين عبد الحميد رشوان: الأسرة والمجتمع- دراسة في علم اجتماع الأسرة- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003. ص: 26.
- 42 - محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، (م س)، ص178.
- 43 - عطية صقر: موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام، ط2، 1990، الدار المصرية للكتاب، مصر، ج1، ص33.
- 44 - توفيق الواعي: استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة، دار شروق للنشر والتوزيع، المنصورة، 2005. ص14.
- 45 - المادة 02 قانون الأسرة الجزائري. قانون رقم: 84-11، مؤرخ في 09 رمضان 1404هـ الموافق ل: 09 يونيو 1984 يتضمن قانون الأسرة المعدل والمتمم <https://www.joradp.dz/har/codes.htm>
- 46 - المادة 04 قانون الأسرة الجزائري.
- 47 - أنظر المادة 36 قانون الأسرة الجزائري.
- 48 - رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج2، ص94، رقم الحديث 1358.
- ورواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج4، ص2047. رقم الحديث 2658.
- 49 - محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة. ط3، 1982. ج2، ص93.
- 50 - المادة 71 من الدستور الجزائري. الجريدة الرسمية، رقم 82، بتاريخ 2020/12/30. ص17.
- 51 - عادل بن شاهر الدعدي: التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة في المؤتمرات الدولية، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1430/1431هـ. ص158.
- 52 - رواه البخاري عن عبد الله بن عمر، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى و أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ج3، ص150، رقم الحديث 2554.
- 53 - رواه البيهقي عن ابن عباس، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2003. ج11، ص128، رقم الحديث 8282.
- 54 - ابن القيم: محمد ابن أبي بكر شمس الدين: تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1971. ص231.
- 55 - الغزالي: إحياء علوم الدين، (م س)، ج1، ص94.

- 56 - رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو ، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت. كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133، رقم الحديث495.
- 57 - ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991. ج4، ص199.
- 58 - رواه السيوطي عن علي بن أبي طالب. جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. ص51. رقم : 311.
- 59 - محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت. ج2، ص198.
- 60 - ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1996. ج1، ص458.
- 61 - البخاري: صحيح البخاري، (م س)، ج1، ص24.
- 62 - ابن حجر: أحمد بن علي: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج1، ص162.
- 63 - رائد جميل عكاشة، منذر عرفات زيتون: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2015. ص83.
- 64 - محمد قطب: الصحوة الإسلامية، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، 1411هـ. ص165.
- 65 - رواه الترمذي عن أبي هريرة، سنن الترمذي، (م س)، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ج2، ص467، رقم 1162.
- 66 - ابن القيم: تحفة المودود بأحكام المولود، (م س)، ج1، ص240.
- 67 - رواه الترمذي عن عمرو بن سعيد، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد، ج3، ص402، رقم 1952.
- 68 - رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، كتاب الأدب، باب بر الوالد والإحسان إلى البنات، ج4، ص636، رقم3671.
- 69 - الغزالي: إحياء علوم الدين، (م س)، ج3، ص72.
- 70 - البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003. ج3، ص119، رقم 5094.
- 71 - رواه الحاكم عن أبي هريرة، الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ج4، ص188، رقم 7319.
- 72 - رواه الحاكم عن أبي الدرداء، الحاكم: المستدرک، (م س)، ج1، ص330، رقم 765.
- 73 - فهد بن عبد العزيز الغفيلي: الألعاب الإلكترونية خطر غفلنا عنه يهدد الأسرة والمجتمع، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1431هـ، ص10.
- 74 - رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو، كتاب القدر، باب حججاج آدم وموسى عليهما السلام، ج4، ص2045، رقم 2654.
- 75 - رواه مسلم عن جابر بن عبد الله، صحيح مسلم، (م س)، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ج4، ص2304، رقم 3009.
- 76 - رائد جميل عكاشة، منذر عرفات زيتون: الأسرة المسلمة في ظل التغيرات المعاصرة، (م س)، ص96.
- 77 - المرجع نفسه: ص 96-98. (النقاط الأربعة بتصرف)